اللغات غير الفصيحة في صحاح الجوهري
ت ٣٩٣

د/ صفوت محمود المتولي السيد
مدرس أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين
بدمياط الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد الصادق الوعدِ الأمين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ..

فالتشعب مظهر بارز من مظاهر الحياة ، فالبشر جميعًا يمتد نسبهم إلى نفسٍ واحدةٍ ممثلةٍ في آدمَ عليه السلام ، وبمر الغداة وكر العشي كثر بنوه ، وانتشروا في أصقاع الدنيا ، وتفرقوا أيادي سبا ، وعلقت كل جماعة منهم بلغةٍ وثقافةٍ تختلف عن لغة وثقافة الجماعة الأخرى، وعلى هذا المنوال كان مسارُ اللغة العربية التي انتشرت في ربوع الجزيرة العربية ، فتعددت لهجاتها ، وتنوعت لكناتها ، وصار كل واحد من العرب يلهج بلغة قد تقترب أو تبتعد عن لغة الآخر في القبيلة الأخرى ، إلا أن اختلافًا ما قد طرأ على العربية الأولى ، وهذا الاختلاف لايخفى على من خبر لغة العرب ، وسبر أغوارها ، فهذه لغة الحجاز ، وتلك لغة تميم ، وأخرى لغة طيئ وهكذا . ولرب سائل يسأل : بأي لغة نعتد ؟ وعلى أي لهجة نعتمد ؟ والجواب أن اللهجة ينبغي أن تُدرس بشكل وصفي في المقام الأول ، وما دامت اللهجة تعبر عن بنيها والناطين بها تعبيرًا صادقًا فهي لغة فصيحة ، ولما كان الأمر على هذا النحو لم يُلزم الشارعُ الحكيمُ الأمة بقراءة القرآن على نمط واحد أو قراءة واحدة . ولكن لما ضرب العرب بسهم وافر في العلوم اللغوية والنحوية ، أصابهم ما أصاب غيرهم من الأمم مما سمي فيما بعد بالترف العلمي ، فطفقوا يفاضلون بين اللغات ، ناعتين اللغة التي لا توافق قواعدهم ومقاييسهم بالضعيفة ، أو

الرديئة ، أو القليلة ، أو المتروكة ، أو الشاذة إلى غير ذلك من الصفات التي تغض من شأن اللغة ، وتنأى بها عن مقام الفصاحة والتفوق ، وما دامت اللغة قد ثبت ورودها عن العرب فلا ينبغي نُكرانها ، بل لا بد من أن تُعدَّل قواعدُ النحاة تبعًا لما ورد عن العرب ، وليس العكس .

وقد توفَّر الجوهري صاحب كتاب (تاج اللغة وصحاح العربية) على ما صح عن العرب من لغات ، متحاشيًا ما عداه ، مما انحط عن مقام الفصاحة، واتسم بالقلة أو الرداءة أو الشذوذ ، ولكن بإنعام النظر تجد أن كثيرًا من هذه اللغات من الفصاحة في المحل الذي لا يُنكر ؛ ومن ثم جاءت فكرة هذا البحث ، حيث توقفتُ مع هذه اللغات ، مختلفًا مع ما جاء في الصحاح تارة ، و متفقًا معه تارة أخرى .

فكم لغة حكم عليها الجوهري بالضعف ، بينما أشار إليها جمع من القدماء دون تضعيف ، ومن ذلك : يقال : بجحت بالشيء وبَجَحت به ، بكسر العين وفتحها ، وقد نص على اللغتين دون ترجيح الخليل[1]، والأزهري[2]، وابن سلام[3] ، ثم جاء الجوهري[4] ناسبًا إياها (أي لغة الفتح) إلى الضعف.

---

(١) العين (بجح)٣/٨٦ ، تحقيق : د/ مهدي المخزومي ، د/ ابراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

(٢) التهذيب (بجح)٤/٩٩ ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

(٣) غريب الحديث لابن سلام٢/٣٠١ ، تحقيق: د/محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد- الدكن، الطبعة الأولى١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

(٤) الصحاح (بجح) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

ولو كانت ضعيفة لأُشير إلى ضعفها من قِبل هؤلاء الأوائل المتقدمين على الجوهري .

ومن أمثلة الاتفاق مع ما جاء في الصحاح : أنهم يقولون بردته تبريدًا ، ولا يقال أبردته إلا في لغة رديئة ، جاء في الجمهرة :" يُقال: بردت الماء وأبردته وَلَيْسَ أبردته بقَوي"[1] . ومن خلال مارجعت إليه من مراجع رأيت شبه إطباق على أن (أبرد) لغة رديئة .

وقد رأيت أن أقدم بين يدي (الأحرف غير الفصيحة في معجم الصحاح) مبحثين تحدثت في الأول منهما عن مفهوم الفصاحة و معيارالفصيح ؛ حتى يستبين لنا الفصيح من غيره ، مع ذكر اختلاف أنظار العلماء في هذا الصدد ، ثم أردفت ذلك بالحديث عن الإمام الجوهري وكتابه الصحاح في المبحث الثاني ، ثم خصصت المبحث الثالث للحديث عن الأحرف غير الفصيحة عند الجوهري . ومن ثم اشتمل البحث على مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة يتلوها فهرس المراجع .

المبحث الأول : معرفة الفصيح ومعيار الفصاحة ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : معرفة الفصيح .

المطلب الثاني : معيار الفصاحة .

المبحث الثاني : الجوهري وكتابه الصحاح.

المبحث الثالث : الأحرف غير الفصاح فى معجم الصحاح.

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ١ ٦٣ ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي . دار العلم للملايين – بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

المبحث الأول : معرفة الفصيح ومعيار الفصاحة

المطلب الأول : معرفة الفصيح

تدور مادة (فصح) حول معنى النقاء والخلوص من الشَّوْب ، جاء في المقاييس :" الْفَاءُ والصَّادُ والْحاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلى خُلُوصٍ فِي شَيْءٍ وَنَقاءٍ مِن الشَّوْب. مِنْ ذَلِكَ: اللِّسانُ الْفَصِيحُ: الطَّلِيقُ. والْكَلَامُ الْفَصِيحُ: الْعَرَبِيُّ "[1].

وأصله في اللبن أن يذهب عنه اللَّبأ ، وهو أول اللبن ، جاء في التهذيب :" والمُفْصِحُ من اللَّبَنِ إذا ذهب عنهُ اللَّبأُ وكثُر مخضُه وقلَّت رغْوته، ويُقَال: فَصَّحَ اللبنُ تَفْصيحًا. أَبو عُبَيد عَن الْأَصْمَعِي: أولُ اللَّبَن اللَّبأُ ، ثمَّ الَّذِي يَلِيهِ المُفصِح. يُقَال: أَفْصح اللَّبنُ إذا ذهب عَنهُ اللَّبأُ "[2] .

ولدلالة المادة على الوضوح والبيان يقال : "أَفْصَح الْبَوْل، كَأَنَّهُ صفا، حَكَاهُ ابْن الْأَعرَابِي قَالَ: وَقَالَ رجل من غنى مرض: قد أَفْصَحَ بولِي الْيَوْم وَكَانَ أمس مثل الْحِنَّاء، وَلم يفسره....وأَفْصَحَ الصُّبْح، بدا ضوءه واستبان . وكل مَا وضح فقد أَفْصَحَ . وأَفْصَحَ لَك فلَان، بيَّن وَلم يجمجم...وحكى اللحيانيّ: فصحه الصُّبْح: هجم عَلَيْهِ "[3] .

---

(١) المقاييس لابن فارس (فصح) ٤/٥٠٦ ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٢) التهذيب (فصح) ٤/١٤٨

(٣) المحكم لابن سيده ٣/١٦٤ ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

ثم كثر استعمال المادة في فصاحة اللسان وذرابته ، جاء في التهذيب : " قال اللَّيْث: رجل فصيحٌ، وقد فَصُحَ فصاحةً، وقد أفْصح الرجلُ القول، فَلَمَّا كثُر وعُرِف أضمروا القوْل واكتفوا بالْفِعْل، كَمَا تقول: أحْسن، وأسرع، وأبْطأ، وإنَّما هُو أحْسن الشيء وأسرعَ الْعمل ... ويُقال : أفْصِحْ لي يا فلان ولا تُجمْجم ، قال: والفَصِيحُ فِي كلام الْعامَّة : المُعْرِبُ ... وقال أَبُو زيد: ما كَانَ فُلانٌ فَصِيحًا، وَلَقد فَصُح فَصاحَةً، وهُوَ البيِّن فِي اللِّسَان" [1] .

وفي إصلاح المنطق :"ويقال للأعجمي إذا تكلم بالعربية: قد أفْصح ... ويقال للرجل إذا كان يتكلم بالعربية ويَلْحن ثُمَّ حسُنت لغتُه ولم يَلْحن: قد فَصُح" [2] .

مما سبق يتبين أن المادة تدور حول معنى البيان والوضوح ؛ وفصاحةُ المنطق تتسق مع هذا الأصل الذي أصَّله الإمام ابن فارس ؛ لأن الإنسان إذا كان لسنًا فصيحًا أبرز ما يريد التعبير عنه من دون تعمية ، ووصل إلى مراده من أقرب الطرق ، فينجلي الفهم في ذهن المستمع .

ولكن إذا كانت الفصاحة هي البيان والوضوح فحسب ، فلربما قال قائل : قد يكون الكلام بَيِّنًا لزيد وغيرَ بيِّنٍ لعمرو ؛ ومن ثم يكون الكلام فصيحًا من جانب ، وغير فصيحٍ من جانب آخر ؛ ومن ثم لا يصدق عليه

---

(١) التهذيب (فصح) ١٤٨/٤

(٢) إصلاح المنطق لابن السكيت . ص١٨٥ . تحقيق : محمد مرعب . دار إحياء التراث العربي . الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م .

لفظ الفصاحة باتفاق ، إذًا لابد من بيان وتفصيل دون الاقتصار على المعنى اللغوي .

يجيب ضياء الدين بن الأثير عما سبق قائلًا : "وغاية ما يقال في هذا الباب أن "الفصاحة" هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي، يقال: أفصح الصبح، إذا ظهر، ثم إنهم يقفون عند ذلك، ولا يكشفون عن السر فيه. وبهذا القول لا تتبيّن حقيقة الفصاحة؛ لأنه يُعْتَرَضُ عليه بوجوه من الاعتراضات : أحدها: أنه إذا لم يكن ظاهرًا بيّنًا لم يكن فصيحًا، ثم إذا ظهر وتبيّن صار فصيحًا . الوجه الآخر: أنه إذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البيّن، فقد صار ذلك بالنسب والإضافات إلى الأشخاص، فإن اللفظ قد يكون ظاهرًا لزيد، ولا يكون ظاهرًا لعمرو، فهو إذًا فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا، وليس كذلك، بل الفصيح هو فصيح عند الجميع، لا خلاف فيه بحالٍ من الأحوال؛ لأنه إذا تحقّق حَدُّ الفصاحة وعُرف ما هي، لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف . الوجه الثالث : أنه إذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع، وهو مع ذلك ظاهر بين، ينبغي أن يكون فصيحًا وليس كذلك... فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل: إن اللفظ الفصيح هو الظاهر البيّن ، من غير تفصيل" [1] .

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ١/ ٩٠ ، تحقيق: أحمد الجوفي، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة .

ثم يستطرد قائلا :" إن الكلام الفصيح هو الظاهر البين. وأعني بالظاهر البين : أن تكون ألفاظه مفهومة لا يُحتاج في فهمها إلى استخراجٍ من كتاب لغةٍ. وإنما كانت بهذه الصفة : لأنها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرةً في كلامهم . وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرةً في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها. وذلك أن أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها، وسبروا وقسموا، فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه. ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه. فحُسْنُ الألفاظِ سببُ استعمالها دون غيرها، واستعمالها دون غيرها سببُ ظهورها وبيانها. فالفصيح إذا من الألفاظ هو الحَسَن . فإن قيل: من أيِّ وجه عَلِم أربابُ النظم والنثر الحَسَنَ من الألفاظ حتى استعملوه، وعلموا القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه ؟ قلت في الجواب: إنَّ هذا من الأمور المحسوسة التي شاهِدُها من نفسها ؛ لأن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحَسَن، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح . ألا ترى أن السمع يستلذ صوتَ البلبل من الطير، وصوتَ الشحرور. ويميل إليهما، ويكره صوتَ الغراب، وينفرُ عنه، وكذلك يكره نهيق الحمار، ولا يجد ذلك في صهيل الفرس، والألفاظ جارية هذا المجرى، فإنه لا خلاف في أن لفظة "المزنة" و"الديمة" حسنةٌ يستلذها السمع، وأن لفظة "البعاق" قبيحة يكرهها السمع، وهذه اللفظات الثلاثة من صفة المطر، وهي تدل على معنى واحد. ومع هذا فإنك ترى لفظتي "المزنة" و"الديمة" وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال،

وترى لفظ "البعاق" وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل. وإن استُعْمل. فإنما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة. أو من ذوقه غير سليم "[1].

(١) المثل السائر ١ ٩١ ، ٩٢

المطلب الثاني: معيار الفصاحة

للفصاحة معايير نسبية ، اختلف فيها العلماء قديمًا وحديثًا ، إلا أن أعلى درجات الفصاحة – على ما يرى ابن جني – أن يقوى الشيء في القياس، ويشيع في الاستعمال ، فتلك مثابة لا تدانيها مثابة .

يقول ابن جني :" وإذا فشا الشيء في الاستعمال وقوي في القياس فذلك ما لا غاية وراءه ؛ نحو منقاد اللغة من النصب بحروف النصب ، والجر بحروف الجر ، والجزم بحروف الجزم ، وغير ذلك مما هو فاشٍ في الاستعمال، قويٌّ في القياس"[1].

وأما إذا ضعف الشيء في القياس ، وندر في الاستعمال فهو بأقبح المنازل "وهو مرذول مطرح، غير أنه قد يجيء منه الشيء ، إلا أنه قليل ؛ وذلك نحو ما أنشده أبو زيد من قول الشاعر:

اضرب عنك الهموم طارقها ... ضربك بالسيف قونس الفرس[2]

قالوا أراد: "اضربن عنك " فحذف نون التوكيد ، وهذا من الشذوذ في الاستعمال على ما تراه، ومن الضعف في القياس على ما أذكره لك. وذلك أن الغرض في التوكيد إنما هو التحقيق .. وهذا مما يليق به الإطناب والإسهاب وينتفي عنه الإيجاز والاختصار. ففي حذف هذه النون نقضُ

(١) الخصائص لابن جني ١/١٢٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الرابعة .

(٢) البيت من بحر المنسرح ، وهو منسوب لطرفة بن العبد ، وقد ورد في : العقد الفريد لابن عبد ربه ٦/٢٠٣ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى١٤٠٤ هـ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١١/٤٥٠ ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي– القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

الغرض. فجرى وجوب استقباح هذا في القياس مجرى امتناعهم من ادّغـــام الملحق: نحو مهدد وقردد"[1].

ولعل ابن جني في رأيه هذا قد تأثر برأي ثعلب الذي يُفاد من كلامـــه في مقدمة كتاب (الفصيح) أن الفصاحة تكمن فيما جرى على ألسنة الناس ؛ إذ يقول:"هذا كتاب اختيار فصيح الكلام، مما يجرى في كلام الناس وكتبـــهم، منه ما فيه واحدة[2] والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك، ومنه مـــا فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن، ومنه ما فيه لغتان كثُرتا واستُعْمِلتا، فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى، فأخبرنا بهما "[3].

ومن ثم فبيت القصيد كثرةُ الاستعمال ؛ إذ هي دليل قوي على فـــصاحة الكلمة ، وسهولتِها على الألسنة ، واستساغةِ الآذانِ لها ، ودلالتـــها علـــى المراد من دون تعمية أو تخليط ؛ ولولا ذلك لاستبدلوا بها خيرًا منها ، واللغةُ معينةٌ على ذلك ؛ لكثرة مفرداتها ، فضلاً عن أن اللغة العربية لغة اشـــتقاقية في المقام الأول .

---

(١) الخصائص ١ /١٢٧

(٢) يعني لغة واحدة .

(٣) فصيح ثعلب . ص ٢٦٥ . تحقيق ودراســـة: دكتـــور عـــاطف مـــدكور . دار المعارف . وقارن بالمزهر للسيوطي١ ١٤٦.١٤٧ . تحقيق فؤاد علي منـــصور . دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٨هـــ ١٩٩٨م .

ومن ثم يقول الجاربردي: "فإن قلت: ما يُقصدُ بالفصيح ؟ وبأيِّ شيءٍ يُعْلَم أنه غيرُ فصيح وغيره فصيح؟ قلت: أن يكونَ اللفظُ على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدْور واستعمالهم لها أكْثر"[1].

وما قُعّدت القواعدُ اللغويةُ والنحويةُ والصرفيةُ إلا من خلال ما كثر استعماله من كلام العرب ، فالقياس- في الغالب - رديف الاستعمال ، وإلا فمن أين أتى هؤلاء اللغويون بتلك القواعد التي صارت راسخةً رسوخ الجبال الراسيات ؟ .

ولكن من العسير معرفةُ ما كثر استعماله وما قل استعماله لدى العرب الأوائل المعتدّ بلغتهم بشكل دقيق ؛ لتقادم العهد ؛ ومن ثم رأوا أن هناك ضوابط ومعايير لابد أن تتوفر في اللفظ حتى يتسم بالفصاحة ، ومن ثم كثرة الاستعمال .

جاء في المزهر : الفصاحةُ في المفرد: خلوصه من تَنَافُرِ الحروف ومن الغَرَابة ومن مخالفة القياس اللغوي. فالتنافر منه ما تكونُ الكلمةُ بسببه مُتناهيةً في الثِّقَل على اللسان ؛ كما رُوي أن أعرابيًا سُئل عن ناقته فقال : تركتها تَرْعى الهُعْخُع[2]. ومنه ما هو دون ذلك كلفظ (مستشزر) في قول امرئ القيس من الطويل:

---

(١) المزهر للسيوطي ١/١٤٩ ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

(٢) وردت في بعض المعاجم (العُهْعُخ) كالعين والتهذيب ، وفي البعض الآخر (الهعخع) كالجمهرة والقاموس . وفي تاج العروس :" قال الأزهريّ: قال الْخَلِيل بن أَحمد : سمِعْنا كلمة .. لا تجوز فِي التأْليف ، سُئِل أعرابيٌّ عَن ناقَتِه فَقَالَ: تركْتها تَرعَى العُهْعخَ. قَالَ: وسأَلْنَا الثِّقَات من عُلَمَائهمْ فأَنكروا أَنْ يكون هذا الاسمُ من كَلَام الْعَرَب. قَالَ: وَقَالَ

غَدائرُه مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلا [1]

وذلك لتوسُّط الشين وهي مَهْموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة . وأما الغرابة فتتمثل في كون الكلمة وحشية لا يُعرف معناها إلا بعد التنقيب عنها في بطون كتب اللغة المبسوطة ؛ كما رُوي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال: ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنَّة اِفْرَنْقِعوا عَنِّي، أي: اجْتَمَعْتم تنحوا " . أو أن تكون الكلمة واضحة في ذاتها ، إلا أن الغموض يكمن في مأخذها الاشتقاقي ؛ ومن ذلك كلمة (مسرج) كما في قول العجاج من الرجز :

وفاحِمًا ومَرْسِنًا مُسَرَّجًا

الفذُّ مِنْهُم: هِيَ (شَجَرَةٌ يُتَدَاوَى بِهَا وبِوَرَقِها) ، وَفِي كَلَام الأَكثر أَنه نبتٌ (وأنكرها بَعْضُهُم وَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ الخُعْخُعُ) . بضمّ فَسُكُون الْعين. وَقد أُنكِرَ ذلك أيضاً ؛ لاجْتِماع حُروف الحَلْق فِيهِ، وَهِي لَا تكَاد تجتمع فِي كلمة . وقيل : الهاءُ والخاءُ لا يجْتمعان. (ووقع فِي كُتُب البَيانيين) كشرْح الخلخاليّ والتَّفتازانيّ كِلاهُمَا على التَّلْخِيص: (العُهْخُعُ) بتَقْدِيم الخاء على الْعين آخِر الكلمة ، وَفِي بعض الْحواشِي بتَقْدِيم الهاء على الْعين أوّل الْكَلِمَة (وَهُوَ غَلَطٌ) . وأنكر كثير من أَئِمَّة اللُّغَة الْعَرَبيَّة هذه الْكَلِمَة بجَمِيع لُغاتِها . وَقَالُوا: كلُّها كلماتُ مُعاياةٍ لَيْسَ لَهَا معنى" تاج العروس للزبيدي ٣٠٧/٧ . تحقيق :مجموعة من المحققين ،ط دار الهداية .

(١) هذا هو الشطر الأول من البيت ، والشطر الثاني (تضِلُّ العِقاصُ في مُثَنًى ومُرْسَل) العين (عقص) ١٢٧/١ ، والتهذيب (عقص) ١٢٠/١ ، ونصه في جمهرة أشعار العرب :غدائرُهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلا ... تُضِلُّ المدارى في مُثَنًى ومُرْسَلِ " جمهرة أشعار العرب للقرشي ، ص١٢٨، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي . نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

فإنه لم يعرف ما أراد بقوله: (مسرجًا) حتى اختلف في تخريجه فقيل: هو من قولهم للسُّيوف سُرَيْجيَّة منسوبة إلى قَيْن يقال له سُريج ، يريد أنه في الاستواء والدِّقة كالسيف السُّرَيْجي . وقيل: من السراج يريد أنه في البريق كالسراج . وأما مخالفة القياس فمِنْ صُورها : فك الإدغام في موضع لا يجوز فيه إلا الإدغام ؛ ومن ذلك قول الشاعر

الحمدُ لله العَلِيِّ الأَجْلَل [1] .

فإن القياس الأجلّ بالإدغام. وزاد بعضُهم في شروط الفصاحة : خلوصُه من الكراهة في السَّمْع ، بأن يمجَّ الكلمة وينبو عن سماعها، كما ينبو عن سماع الأصوات المُنْكَرة ؛ فإن اللَّفظ من قبيل الأصوات ، منها ما تستلذ النفسُ بسماعه ، ومنها ما تكره سماعَه ؛ كلفظ (الجِرِشَّي) في قول أبي الطيب :

كريمُ الجِرِشَّى شريفُ النَّسب [2] .

---

(١) البيت لأبي النجم العجلي ، وهو من بحر الرجز ، وينظر في : حزانة الأدب ٣٩٠/٢ ، ومعاهد التنصيص لأبي الفتح العباسي ١٨/١ ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب – بيروت .

(٢) المزهر ١٤٧/١، ١٤٨ بتصرف ، والبيت من بحر المتقارب ، وتمامه:

مبارك الاسم أغر اللقب ... كريم الجرشي شريف النسب

وهو في مقام مدح المتنبي لسيف الدولة "والجرشَى بمعنى النَفس، فجعل اسمه مباركًا، ولقبه أغرّ. ونفسه كريمة، ونسبه شريفًا؛ وذلك أنه كان يسمّى عليًا ، وهو اسم مبارك ؛ لموافقة اسم أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه . ويلقب (سيف الدولة) . وهو لقب أعرابي مشهور. وأغرّ أخذًا من غرّة الفرس ؛ لأنها أشهر ما فيها، ووصفه بكرم النفس ، إما باعتبار الحسب والعراقة، وإما باعتبار بذل المال وكثرة العطاء، وأشار إلى

كما عدَ بعضُهم من شروط الفصاحة " ألاَ تكون الكلمةُ مُبتذلة: إما لتغيير العامّة لها إلى غير أصل الوضع ؛ كالصروم للقطع ، جعلته العامة للمحل المخصوص ، وإما لسخافتها في أصل الوضع ؛كاللّقالق[1] ؛ ولهذا عدل في التنزيل إلى قوله تعالى: {فأَوْقِدْ لِي يا هَامانُ على الطِّين}؛ لسخافة لفظ الطوب[2] وما رَادَفه[3] كما قال الطيبي . ولاستثقال جمع الأرض لم تُجْمَع في القرآن ، وجُمِعت السماء حيثُ أُريدَ جمعها قال تعالى: {ومن الأرض مثْلهنَ}[4] . ولاستثقال اللُّب لم يقع في القرآن ، ووقع فيه جمعُه، وهو الألباب ؛ لخِفَّته . وقد قسَّم حازم في المنهاج الابتذال والغَرَابة فقال: الكلمة على أقسام : الأول ما استعملَتْهُ العربُ دون المحدثين . وكان استعمال العرب له كثيرًا في الأشعار وغيرها ، فهذا حسنٌ فصيح. الثاني: ما استعملَتْه العربُ قليلًا ، ولم يحسن تأليفُه ولا صيغتُه ، فهذا لا يَحْسُن إيراده. الثالث: ما استعملَتْهُ العربُ وخاصَّةُ المحدثين دون عامتهم ، فهذا حسنٌ جدا ؛ لأنه خلص من حُوشيَّة العرب ، وابتذالِ العامة. الرابع: ما كثُر في كلام العرب

شرف نسبه ؛ باعتبار عراقته في بيت الملك ، وعراقة حسبه." صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي٢/٢٣٨ ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١) "و(اللَّقْلاقُ) طَائِرٌ أَعْجَمِيٌّ طَوِيلُ الْعُنُقِ يأْكُلُ الْحَيَّاتِ ، وربَّما قَالُوا: (اللَّقْلَقُ) والْجَمْعُ (اللَّقَالِقُ) " مختار الصحاح للرازي ١/٢٨٤ (لقق) . تحقيق: يوسف الشيخ محمد . المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

(٢) يقال "فلان لا آجُرَة لهُ ولا طُوبة. قال: الطُوب الآجرُّ" التهذيب (طوب)١٤ ٣٠

(٣) لعله يريد الآجرَ ونحوه . فالطوب والآجُرَ مترادفان .

(٤) الطلاق : الآية١٢

وخاصَّةُ المحدثين وعامتهم ولم يكثر في ألْسنة العامة فلا بأس به. الخامس: ما كان كذلك ولكنه كثُر في ألْسنة العامة وكان لذلك المعنى اسمٌ استغنتْ به الخاصَّةُ عن هذا، فهذا يَقْبحُ استعماله ؛لابتذاله. السادس:"أن يكون ذلك الاسم كثيرًا عند الخاصة والعامة ، وليس له اسمٌ آخر ، وليست العامة أحوج إلى ذِكْره من الخاصة ، ولم يكن من الأشياء التي هي أنسب بأهل المهن فهذا لا يَقْبُح ولا يُعَدُّ مُبْتَذَلًا ؛ مثل لفظ الرأس والعين. السابع: أن يكون كما ذكرناه إلا أن حاجةَ العامة له أكثر فهو كثير الدَّوَران بينهم كالصنائع فهذا مُبتذل. الثامن: أن تكون الكلمةُ كثيرةَ الاستعمال عند العرب والمحدثين لمَعْنًى وقد استعملها بعضُ العرب نادرًا لمعنى آخر ، فيجب أن يُجْتَنب هذا أيضًا. التاسع: أن تكون العربُ والعامةُ استعملوها دون الخاصة، وكان استعمالُ العامَّة لها من غير تغيير، فاستعمالها على ما نطقت به العربُ ليس مبتذلًا ،وعلى التغيير قبيحٌ مُبْتَذَل . ثم اعلم أن الابتذالَ في الألفاظِ وما تدل عليه ليس وصفًا ذاتيا ولا عَرَضاً لازمًا، بل لاحِقًا من اللَّواحق المتعلِّقةِ بالاستعمال في زمان دون زمان، وصُقْع دون صُقع "[1].

ولا بد أن نأخذ في الاعتبار أن كثرة الاستعمال أمر نسبيَ ، فكثير الاستعمال اليوم قد يقل استعماله غدًا ، وكم من ألفاظ كانت ملء السمع والبصر أخنى عليها الذي أخنى على لبد ؛ لانحطاطها لدى المجموعة اللغوية ، ثم حلت محلها بدائلُ أخرى .

ومن ثم فهناك مايسمى "بالتغير الانحطاطي أو"الخافض" هذا النوع من التغير في المعنى يصدق على الكلمات التي كانت دلالتها تعد في نظر الجماعة

(١) المزهر ١/١٥١، ١٥٢

"نبيلة" "رفيعة" "قوية" نسبيًا ، ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك مرتبة، أو أصبح لها ارتباطات تزدريها الجماعة . ومن الملاحظ أن الملابس الخاصة كثيرًا ما تتغير الأسماء الدالة عليها ،وما ذلك إلا لأن الاسم الأول يصيبه "الابتذال" وتتعفف عنه الجماعة في جيل من الأجيال فتصطنع اسمًا آخر له، ثم يصيب الثاني ما أصاب الأول وهكذا "[1] .

أما فيما يتصل بالفصاحة باعتبار من يتكلم بها ، فقد حدد العلماء معيارًا زمانيًا ومكانيًا في جمع اللغة لا ينبغي تجاوزه بأي حال من الأحوال . أما المعيار الزماني "فقد حددوا نهاية الفترة التي يستشهد بها بآخر القرن الثاني الهجري بالنسبة لعرب الأمصار، وآخر القرن الرابع بالنسبة لعرب البادية"[2] . وأما المعيار المكاني فقد سموا قبائل بعينها ، لا تُؤخذ اللغة إلا عنها ، ولا يُلتفت إلى غيرها من القبائل .

أضف إلى ذلك أنهم " ربطوا المكان بفكرة البداوة والحضارة ، فكلما كانت القبيلة بدوية أو أقرب إلى حياة البداوة كانت لغتها أفصح، والثقة فيها أكثر، وكلما كانت متحضرة، أو أقرب إلى حياة الحضارة كانت لغتها محلَّ شك ومثارَ شبهة؛ ولذلك تجنبوا الأخذ عنها. وفكرهم في ذلك أن الانعزال في كبد الصحراء، وعدم الاتصال بالأجناس الأجنبية يحفظ للغة

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : د/ محمود السعران . ص٢٢٨ . ٢٢٩ بتصرف . دار الفكر العربي . الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٩٧ .

(٢) البحث اللغوي عند العرب : د/ أحمد مختار عمر . ص٥٠

نقاوتها ويصونها عن أي مؤثر خارجي. وأن الاختلاط يفسد اللغة وينحرف بالألسنة"[1].

ومن ثم ظهرت قائمة من القبائل الفصيحة الموثوق بلغتهم ، أخذها الخلف عن السلف ، وأحاطوها بلون من التوقير ، وحذروا من نقضها أو الانتقاص من شأنها ، وكأنها مسلمة من المسلمات .

وأول من أشار إليها الفارابي بقوله :" كانت قريشٌ أجودَ العرب انتقاءا للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النُّطْق ، وأحسنها مسموعًا، وأبينها إبانَة عما في النفس. والذين عنهم نُقِلت اللغة العربية وبهم اقْتُدِي وعنهم أُخِذَ اللسانُ العربيّ من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثرُ ما أُخِذ ومعظمه ، وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتَّصْريف، ثم هذيل وبعض كِنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة ، فإنه لم يؤخذ عن حضَريٍّ قط ، ولا عن سكَّان البَرَاري ممن كان يسكنُ أطرافَ بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا مِنْ لَخْم ولا من جذام؛ لمُجاورتهم أهل مصر والقِبْط ، ولا من قُضاعة وغسَّان وإياد ؛ لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب واليمن؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر؛ لمجاورتهم للقبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان؛ لأنهم كانوا بالبحرين مُخالطين للهند والفُرس ، ولا من أهل اليمن؛ لمخالطتهم للهند والحبشة ،ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف؛ لمخالطتهم تجار

(١) السابق ، ص٥٠. ٥١

اليمن المقيمين عندهم. ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغةَ العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم ، والذي نقل اللغةَ واللسانَ العربيَّ عن هؤلاء وأثْبتها في كتاب فصيَّرها عِلْمًا وصناعة هم أهلُ البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب" [1].

ثم جاء ابن خلدون وسار على ذات الأساس ، معتدًا بصراحة النسب في هذه القبائل ، وما دام النسب صريحًا في هذه القبائل فلهجاتها أيضًا صريحة خالصة من شائبة الاختلاط .

ومن ثم يقول ابن خلدون في الفصل التاسع من تاريخه :" الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معناهم؛ وذلك لما اختصّوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن، حملتهم عليها الضّرورة الّتي عيّنت لهم تلك القسمة ... فلا يترع إليهم أحد من الأمم أن يساهمهم في حالهم ولا يأنس بهم أحد من الأجيال، بل لو وَجَد واحدٌ منهم السّبيل إلى الفرار من حاله وأمكنه ذلك لَمَا تركه ؛ فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم وفسادها ، ولا تزال بينهم محفوظة صريحة، واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة ، لّما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع ، وبعدوا من أرياف الشّام والعراق ومعادن الأدم والحبوب كيف كانت أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيها شوب. وأمّا العرب الّذين كانوا بالتّلول وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان ؛

(١) المزهر ١/١٦٧ ، ١٦٨ ، والبحث اللغوى عند العرب ، ص٥٠- ٥٢

مثل : لخم وجذام وغسّان وطيّ وقضاعة وإياد ، فاختلطت أنسابهم . وتداخلت شعوبهم . ففي كلّ واحد من بيوتهم من الخلاف عند النّاس ما تعرف ، وإنّما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم، وهم لا يعتبرون المحافظة على النّسب في بيوتهم وشعوبهم . وإنّما هذا للعرب "[1] .

"ويظهر أن هذه القائمة لم تكن محل اتفاق بين جميع اللغويين، ويظهر كذلك أن البصريين كانوا أكثر تمسكًا بها من الكوفيين ؛ ولهذا كانوا يفتخرون بقولهم : " نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وهؤلاء (يعنون الكوفيين) أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشوارز[2]. كما كانوا يتهمونهم بأنهم يأخذون اللغة عن غير الفصحاء... وممن لم يلتزمها من المتأخرين ابن مالك في مؤلفاته. قال السيوطي بعد أن نقل هذه القائمة: ونقل ذلك أبو حيان في "شرح التسهيل" معترضًا به على ابن مالك، حيث عُنى في كتبه بنقل لخم وخزاعة وقضاعة وغيرهم ، وقال: ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن .

كذلك كانت هذه القائمة محل نقد من بعض المعاصرين. كما فعل الدكتور مهدي المخزومي الذي يرى أن التفرقة بين القبائل خطأ منهجي، ويشرح ذلك بقوله: "ولا نرى هذا إلا لغو الكلام . إنهم يجهلون أن اللغة سليقة

---

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر الأكبر لابن خلدون ١/١٦١ ، ١٦٢ تحقيق: خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، والبحث اللغوي عند العرب . ص٥٠- ٥٢

(٢) "الشِّيراز. بالكَسْر: الّذي يُؤكل. وهُو اللّبن الرّائبُ المُستخرجُ ماؤُه. ومن العجيب أنّ اللّبن بالفارسيّة شيراز. ج شواريزُ. كميزانٍ وموازينَ" تاج العروس(شرز) ١٥/١٧٧

وطبيعة. ويجهلون أن صاحب اللغة لا يغلط في لغته؛ لأنها جزء من حياته التي فطر عليها ، وعادة من عاداته التي نشأ عليها. وإذا كان الجاهليون يغلطون، والمخضرمون يغلطون، والإسلاميون يغلطون، فعلى من بعد هؤلاء يعتمد النحاة؟ بماذا يحتجون؟ ومن أين جاءوا بهذه الأصول التي وضعوها، وهذه القواعد التي استنبطوها.

ثم يناقش فكرتها في وجود الفصاحة في كبد الصحراء فقط بعيدة عن ملابسات الحضارة فيقول: ولو كان مقياس الفصاحة هو الانعزال في كبد الصحراء وعدم الاتصال بالأجانب، لكانت لغة قريش أبعد اللغات عن الفصاحة، ولا قائل بهذا، والدكتور المخزومي على حق في هذا؛ فقريش كانت تسكن مكة وما حولها، وهم أهل تجارة، والتجارة تؤدي إلى الاختلاط، والاختلاط يفسد اللغة على حد زعمهم . فعلام التفريق إذن بين قريش وغيرها؟ "[1].

يفاد مما سبق أن قَصْرَ الفصاحة على قبائل بعينها أمر يأباه المنطق ؛ إذ من المعلوم أن كل إنسان مفتون بلغته ، مغرم بلهجته التي شب عليها ؛ ومن ثم سميت اللهجة بذلك ؛ لأن صاحبها يلهج بها كما يلهج الفصيل بأمه ، على نحو ماورد في معجمات العربية . فهو في لغته فصيح لَسِن ، يصل إلى مأربه من الفهم والإفهام بشكل دقيق . بل إنه ينظر إلى ما سواها على أنها أدنى مرتبةً وأقلُ شأنًا ، وإن بلغت في الفصاحة شأوًا عظيمًا .

ثم إن القرآن الكريم لما نزل نزل بلغة العرب بشكل عام ، دون أن يقتصر على لهجة دون سواها ، وإن كان معظمه قد نزل بلغة قريش . تلك اللغة

---

(١) البحث اللغوي عند العرب ، ص٥٣، ٥٤

الأدبية النموذجية المشتركة . قال تعالى :" إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"[1] . ولا يتأتى الفهم والتعقل إلا من خلال نزوله بسائر لغات العرب ؛ وليظفروا جميعًا بالفضل الذي ينبغي ألا تستأثر به قريش دون سواها.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ»[2] .

حتى على الرأي القائل بأنه أول ما نزل نزل بلغة قريش . فإنه أبيح للعرب بعد ذلك قراءته على أكثر من حرف ؛ إذ ثَبَتَ أَنَّ وُرُودَ التَّخْفِيفِ بِذَلِكَ كَانَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ[3] . وليس من المعقول أن يبيح الله عز وجل قراءته على لهجات ليست فصيحة .

وأما ما قاله عُثْمَانُ -رضي الله تعالى عنه- لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ.."[4] . فالمراد منه الاختلاف في الكتابة (الرسم) أو الوجوه الإعرابية ؛ ومن ثم يقول القسطلاني في شرحه لصحيح البخاري:"إذا

---

(١) يوسف : الآية ٢

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٢٢ ح ٢٤١٩ . تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر . دار طوق النجاة . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

(٣) فتح الباري لابن حجر ٩/ ٢٨ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي . قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب . دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩.

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ٦/ ٨ ح ٣٥٠٦ . المطبعة الكبرى الأميرية . مصر . الطبعة السابعة .

اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من هجاء (القرآن) ؛كالتابوت هل يكتب بالتاء أو بالهاء ، أو في شيء من إعرابه أو فيهما كقوله تعالى: {ما هذا بشرًا}[1] بالنصب على لغة الحجازين في إعمال "ما" وهي الفصحى ، وبالرفع على لغة التميميين في إهمالها "[2]. وفي موضع آخر ينص شارح الحديث على أن المراد من قوله :" فإن القرآن أُنزل بلسانهم" أي معظمه [3].

ويقول ابن حجر بعد أن أورد الباب الذي عقده الإمام البخاري[4] تحت عنوان " نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {قُرْآنًا عربيًا} [5] {بلسانٍ عربيٍّ مُبين}[6] – يقول :"وقال الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْبَاقِلَّانِيّ: مَعْنَى قَوْلِ عُثْمَانَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، أَيْ: مُعْظَمُهُ ، وَأَنَّهُ لَمْ تَقُمْ دَلَالَةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّ جَمِيعَهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ؛ فَإِنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا}[7] أَنَّهُ نَزَلَ بِجَمِيعِ أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَرَادَ مُضَرَ دُونَ رَبِيعَةَ أَوْ هُمَا دُونَ الْيَمَنِ أَوْ قُرَيْشًا دُونَ غَيْرِهِمْ فَعَلَيْهِ الْبَيَانُ ؛ لِأَنَّ اسْمَ (الْعَرَبِ) يَتَنَاوَلُ الْجَمِيعَ تَنَاوُلًا وَاحِدًا ، وَلَوْ سَاغَتْ هَذِهِ الدَّعْوَى لَسَاغَ لِلْآخَرِ أَنْ يَقُولَ نَزَلَ بِلِسَانِ بَنِي هَاشِمٍ مَثَلًا ؛ لِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَائِرِ قُرَيْشٍ. وَقَالَ أَبُو شَامَةَ: يحتمل

(١) يوسف: الآية ٣١

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩/٦

(٣) السابق ٤٤٥/٧

(٤) صحيح البخاري ١٨١/٦ ، ١٨٢

(٥) يوسف: ٢

(٦) الشعراء: الآية ١٩٥

(٧) الزخرف : الآية ٣

أَنْ يكُون قولُهُ نزَلَ بلِسَانِ قُرَيْشٍ ،أي: ابْتِداءُ نُزُولِهِ، ثُـمَّ أُبِـيحَ أَنْ يُقْـرأَ بلُغَة غيْرِهِمْ "[1] .

ويقول الدكتور صبحي الصالح :"ونحسب أنه ليس من البحث الموضوعي في شيء أن نرى في استصفاء لغة قريش أن القرآن نزل بها، ففي القرآن من لهجات العرب الأخرى ألفاظ غير قليلة ، ولغة القرآن بعد هـذا – حـين يقال: إنها لغة الحجاز أو قريش– هي اللغة نفسها التي نُقلت بها إلينا أشـعارُ العرب وخطبهُم وأسجاعهُم، ولقد صادف القرآن هـذه اللغـةَ الراقيـة المهذبة، فزاد من ترقيتها وتهذيبها، فهذا معنى نزوله بلغة قريش" [2].

وفيما سبق غُنية ؛ إذ ليس المقامُ مقامَ بسطٍ في هذا الصدد ، وإنما الـذي يعنينا أن القرآن قُرئ بلهجات عربية متعددةٍ غير محددةٍ بنصٍ قـرآني ، ولا بحديثٍ قاطعٍ . ومن ثم فلغاتُ العربِ فصيحةٌ يُعتد بها ، كيف لا وقد صورتها لنا القراءات القرآنية أصدقَ تصويرٍ .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/٩

(٢) دراسات في فقه اللغة : د/ صبحي الصالح . ص١١١ ، دار العلـم للملايـين ، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

المبحث الثاني : الجوهري وكتابه الصحاح

أولاً : الجوهري [1] :

هو" إمامُ اللُّغةِ، أَبو نَصْرٍ إِسْمَاعِيْلُ بنُ حَمَّاد التركي الأتراري، وأترار: هِيَ مدِينَةُ فَارَابَ، مُصَنِّفُ كِتَاب (الصِّحَاحِ)، وَأَحَدُ مَنْ يُضْرَب بِهِ المَثَلُ فِي ضَبطِ اللُّغَة. وفِي الخَطِّ المَنسُوب. يُعَدُّ مَعَ ابْنِ مُقْلَـةَ وَابـنِ البَـوَّاب وَمُهَلْهِـلٍ والبَرِيْدِيِّ. وكَانَ يُحِبُّ الأَسْفَارَ والتَّغَرُّب، دَخَلَ بِلاد رَبِيْعَةَ ومُضَر فِي تطَلُّب لِسَان العرب، وَدَارَ الشَّام وَالعِرَاق، ثُمَّ عَادَ إِلَى خُرَاسَانَ، فَأَقَامَ بِنَيْـسَابُوْرَ يدرِّس ويصنِّف، وَيُعَلِّمُ الكِتَابَة، وَيَنْسَخُ المَصَاحِف. وَانْفَرَدَ أَهْلُ مِصْر بروَايَة الصِّحَاح عَنِ ابْنِ القَطَّاع "[2]. وقال ابنَ برِّي: الجوهري أَنْحَى اللغويين "[3].

---

(١) ينظر ترجمته في : يتمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي ٤٦٨/٤ ، تحقيق: د/ مفيد محمد قمحيـة . دار الكتـب العلميـة – بـيروت ، لبنـان ، الطبعـة الأولى ١٤٠٣هـ١٩٨٣م . ونزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري ٢٢٩/١ ، تحقيـق : إبراهيم السامرائي . مكتبة المنار ، الزرقاء – الأردن . الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ٢٣٠/١، ٢٣١ تحقيق: محمد أبـو الفضل إبراهيم . دار الفكر العربي – القاهرة. ومؤسسة الكتب الثقافية – بـيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م . و سير أعلام النبلاء للـذهبي ٥٢٦/١٢ ، دار الحديث– القاهرة . الطبعة ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م . ومعجـم الأدبـاء ليـاقوت الحموي ٦٥٦/٢ . تحقيق: إحسان عباس . دار الغرب الإسلامي، بيروت . الطبعـة الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٢٦/١٢

(٣) المزهر للسيوطي ٧٤/١ ، ٧٥

وقيل في سبب وفاته أنه اعترته وسوسة . فصعد إلى سطح الجامع الكبير بنيسابور ،وقال: أيها الناس إني عملت في الدنيا شيئًا لم أسبق إليه فسأعمل للآخرة أمرًا لم أسبق إليه، وضمّ إلى جنبيه مصراعي باب وسطهما بحبل، وصعد مكانًا عاليًا من الجامع وزعم أنه يطير، فوقع فمات [1] . وقيل : مات مُتَرَدِّيًا مِنْ سَطْحِ دَارِهِ بِنَيْسَابُوْرَ، فِي سَنَةِ ثلاثٍ وتِسْعِيْنَ وثلاثمائةٍ . وقِيْل : مَاتَ فِي حُدُوْدِ سَنَة أَرْبعمائَةٍ [2] .

رحم الله تعالى الإمام الجوهري ، وأسكنه الفردوس الأعلى ؛ جزاء ما قدَّم للإسلام والعربية .

ثانيًا : التعريف بالصحاح :

يُعَدُّ كتاب (الصحاح) من أعظم ما أَلَّف الجوهري ؛ إذ تلقاه القاصي والداني بمزيد من الاهتمام والتبجيل ، وانتهج فيه صاحبه نهجًا ميسورًا جعله سهلَ المأخذ قريب التناول ، حيث تخلص الجوهري من معضلات الترتيب المخرجي الذي لا يتيسر لكل أحد ، فاعتمد الترتيب الهجائي ، معتدًا بآخر الكلمة ، بعد تجريدها من الزوائد ، جاعلًا آخر الكلمة بابًا ، وأولها فصلًا مع مراعاة الثواني والثوالث إن وجدت ، فأحدث بذلك طفرة عظيمة ونقلة نوعية في الترتيب المعجمي ،ينبغي أن تُذكر فتُشكر ، مع اقتصاره على صحيح اللغة من وجهة نظره ؛ إراغة تجريد اللغة مما علق بها من الشوائب ، وقد نجح إلى حد بعيد فيما صبت إليه نفسه ودعاه إليه خاطره .

---

(١) معجم الأدباء ٢/٦٥٨ . بتصرف يسير .

(٢) سير أعلام النبلاء١٢ ٥٢٦ . بتصرف يسير .

" وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد النيسابوري – وكان عنده الكتاب بخط مؤلّفه:

هذا كتاب الصّحاح سيّد ما ... صنّف قبل الصّحاح في الأدب

يشمل أنواعه ويجمع ما ... فرّق في غيره من الكتب[1]

وهذا كتاب الصّحاح قد سار في الآفاق، وبلغ مبلغ الرّفاق، ولمّا دخلت منه نسخة إلى مصر نظرها العلماء، فاستجودوا مأخذها وقربه[2]. وقيل : "هُوَ أحسن من الجمهرة ، وأوقع من تَهْذِيب اللُّغَة ، وَأقرب متناولًا من مُجمل اللُّغَة"[3].

وموقع الصحاح من اللغة كموقع الجامع الصحيح للإمام البخاري من الحديث أو يكاد ؛ ومن ثم سَمَّى كتابه بالصحاح .

جاء في المزهر :"وأولُ مِن التزمَ الصحيح مقتصرًا عليه الإمامُ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجَوْهَري ؛ ولهذا سَمَّى كتابه بالصحاح ، وقال في خطبته : قد أوْدَعْتُ هذا الكتاب ما صحَّ عندي من هذه اللغة التي شرّف الله منزلتَها ، وجعل عِلْم الدين والدنيا مَنُوطاً بمعرفتها ، على ترتيبٍ لم أُسْبَق إليه ، وتهذيبٍ لم أُغلبْ عليه ، بعد تحصيلها بالعراق رواية ، وإتقانها دِراية ، ومُشافهتي بها العربَ العاربة في ديارهم بالبادية ، ولم آل في ذلك نُصْحًا ولا ادَّخَرتُ وسعًا[4] . قال أبو زكريا الخطيب التّبريزي اللغوي: يقال كتاب

---

(١) البيت من المنسرح ، وقد ورد في المزهر للسيوطي على النحو التالي :

(تَشْمَلُ أبوابهُ وَتَجْمَعُ ما ... فُرِّق في غيره من الكُتُب) .

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة١/ ٢٣٠

(٣) يتمة الدهر في محاسن أهل العصر٤/ ٤٦٨ . ومعجم الأدباء٢/ ٦٥٧

(٤) الصحاح ١/ ٣٣

الصِّحاح بالكسر وهو المشهور ، وهو جمع صحيح كظريف وظراف ، ويقال: الصَّحاح بالفتح وهو مفرد نعت ؛ كصحيح . وقد جاء (فعال) بفتح الفاء لغة في فعيل كصحيح وصحاح ، وشحيح وشحاح ، وبريء وبراء . قال : وكتاب الصحاح هذا كتابٌ حسنُ الترتيب سَهلُ المطلبِ لما يُراد منه ، وقد أتى بأشياءَ حسنة وتفاسير مشكلات من اللغة" [1].

وفي معجم الأدباء :"وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم وعليه اعتمادهم، أحسن تصنيفه، وجوّد تأليفه، وقرّب متناوله، وأبرّ في ترتيبه على من تقدمه، يدلّ وضعه على قريحة سالمة ونفس عالمة"[2] .

- التصحيفات والتحريفات الواقعة في الصحاح

وعلى الرغم من ارتفاع شأن الصحاح وعلو قدره "إلا أنه مع ذلك فيه تصحيفٌ لا يُشَكُّ في أنه من المصنِّف لا من الناسخ ؛ لأنَّ الكِتاب مبنيٌّ على الحروف . ولا تخلو هذه الكتبُ الكِبار من سهو يقع فيها أو غلط . غير أن القليل من الغَلط الذي يقع في الكُتب إلى جنب الكثير الذي اجتهدوا فيه ، وأتعبوا نفوسهم في تصحيحه وتنقيحه معفوٌّ عنه . هذا كلام الخطيب أبي زكريا "[3] .

وفي إنباه الرواه : "ولحوا (أي العلماء) فيها (أي نسخة الصحاح التي دخلت مصر) أوهامًا كثيرة انتدبوا لإصلاحها ، وزادوا فيها بعض ما لعلّه

(١) المزهر ١/٧٤ ، ٧٥

(٢) معجم الأدباء ٢/٦٥٧ . وقارن بالمزهر ١/ ٧٥

(٣) المزهر ١/٧٤ ، ٧٥

أخلَ به من ألفاظ لغوية ، الحاجةُ داعيةٌ إليها، فلا شبهة فى أنه نقلها من صحف فصحَف، وانفرد فى تصريف الكلم برأيه فحرَف[1].

وقيل في سبب هذه التصحيفات والتحريفات: أنه لما مات الجوهري بقي جزء من الكتاب "غير منقح ولا مبيض، فبيَضه أبو إسحاق إبراهيم بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته، فغلط فيه في عدة مواضع غلطًا فاحشًا "[2].

وعلى الرغم مما احتوى عليه الكتاب من تصحيفات وتحريفات إلا أنه ما زال عالي المقام ، يحتل مرتبة سامقة بين معاجم اللغة ، ومن ذا الذي ما ساء قط؟ ومن له الحسنى فقط؟.

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة١ ٢٣٠.٢٣١

(٢) معجم الأدباء ٢/٦٥٨ ، والمزهر ١/٧٥

المبحث الثالث

الأحرف غير الفصاح في معجم الصحاح

أشار البحث فيما سبق إلى مدى ما تمتّع به كتاب (الصحاح) من مرتبة عالية اكتسبها من خلال ارتكاز الجوهري على ما صح في لغة العرب ، إلا أن الجوهري أشار في بعض المواطن إلى الرديء والقليل والمتروك والضعيف والشاذ من اللغات .

لكن المدقق يجد أن بعض اللغات التي حكم عليها الجوهري بالرداءة ،أو القلة ،أو الضعف ،أو الشذوذ ليست بهذه المنزلة ، وأنها من فصيح الكلام . ودونكم ما ورد في الصحاح في هذا الصدد، مرتّبًا على حروف المعجم . تيسيرًا على القارئ الكريم .

(أخر)

جاء في الصحاح: " ومؤخرة الرحل .. لغة قليلة في آخرة الرحل، وهي التي يستند إليها الراكب. قال يعقوب: ولا تقل مؤخرة . ومؤخّر الشيء بالتشديد: نقيض مقدّمه. يقال: ضرب مقدم رأسه ومؤخره"[1].

وفي اللسان:"هِي (أي المؤخرة)بِالْهَمْزِ وَالسُّكُونِ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ فِي آخِرَتِه، وقَدْ مَنَعَ مِنْهَا بَعْضُهُمْ وَلَا يُشَدَّدُ"[2] . بينما نقل الأزهري عن الأصمعي هذه اللغة ، ولم ينص على ضعفها، جاء فى التهذيب :"وَيَقُولُونَ: مُؤْخِرَةُ الرَّحْل، وآخِرَةُ الرَّحْل ، قالَه الْأَصْمعِي"[3].

---

(١) الصحاح (أخر)

(٢) اللسان (أخر) ٤ ١٢

(٣) التهذيب ٧/٢٢٨

"وعنْ أبي هُرَيْرة قال : قال رسُولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليْه وسلم: «يسْتُرُ الْمُصلِّي مثْلُ مُؤخرة الرَّحْل في مثْل جلَّة السَّوْط»"[1] .

وقد عبر ابن سيده بلفظة (المؤخرة) أثناء إبرازه لمدلول الخفعة قائلا :"الخفْعة: قطْعةٌ من أدمٍ تُطْرح على مُؤْخرة الرَّحْل "[2] مما يدل على فصاحتها . وهذا ما يميل إليه البحث، يدعم ذلك أيضًا ما رواه أبوعبيد عن الْأَصْمعي من أنه :" يُقال للحديدة الَّتي فَوق مُؤخرة الرَّحْل :الغاشيةُ "[3] ، فعبر هنا بمؤخرة الرحل دون آخرة الرحل.

(أسا)

جاء في الصحاح :" أسيته تأسية، أي عزيته. وآسَيْتُهُ بمالي مواساةً، أي جعلته إسْوَتي فيه. وواسَيْتُهُ لغةٌ ضعيفةٌ فيه" [4] .

وفيه أيضًا : " وواساه : لغةٌ ضعيفةٌ في آساهُ، تُبنى على يُواسي. وقد اسْتَوْسيْتُهُ، أي: قلت له واسني" [5] .

وواسيت لغة أهل اليمن ، جاء فى المصباح المنير:"وَأَسَوْت بَيْنَ الْقَوْمِ وأَصْلحْت وَآسَيْته بنَفْسي بالْمَدِّ : سَوَّيْته ، وَيجُوزُ إبْدَالُ الْهَمْزَةِ وَاوًا فِي لُغَةِ الْيمَنِ فيُقالُ واسيْته"[1] .

---

(١) غريب الحديث للحربي ١١٢/١ ، تحقيق: د/ سليمان إبراهيم محمد العايد . جامعة أم القرى – مكة المكرمة . الطبعة الأولى ١٤٠٥ . وفى النهاية: «يسْتُر الْمُصلِّي مثْلُ مؤْخرة الرَّحْل فِي مِثْل جُلَّة السَّوْط» أيْ فِي مثْل غلظه" النهاية ٢٨٩/١

(٢) المخصص ٢٠٨/٢

(٣) التهذيب (دمغ) ٩٦/٨

(٤) الصحاح (أسا)

(٥) الصحاح (وسى)

(أنن)

جاء في الصحاح :"وأما قولهم: أنا، فهو اسم مكني. وهو للمتكلم وحده، وإنما بني على الفتح فرقًا بينه وبين أن التي هي حرف ناصب للفعل، والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف، فإن توسطت الكلام سقطت، إلا في لغة ردينة، كما قال حميد بن بحدل:

أنا سيف العشيرة فاعرفوني ... حميدًا قد تذريت السناما" [٢].

ومن ثم ففي الكلمة لغات ، الأولى : تسكين النون، وهي لغة قليلة ، الثانية: تحريكها بالفتحة ، والثالثة : إثبات الألف فى آخرها وصلًا ، وهى أيضًا لغة ردينة ، أما فى حالة الوقف فالوقوف عليها بالألف أجود اللغات .

جاء فى اللسان:" لِلْعَرَب فِي أَنا لغاتٌ، وأَجودها أَنَّك إِذَا وقفْتَ عَلَيْهَا قُلْتَ: أَنا بوَزْنِ عَنَا، وَإِذَا مضَيْتَ عَلَيْهَا قُلْتَ : أَنَ فعلتُ ذَلِكَ، بوَزْنِ عَنَ فَعَلْتُ، تُحَرِّكُ النُّونَ فِي الْوَصْلِ، وَهِيَ سَاكِنَةٌ منْ مثلِه فِي الأَسماء غَيْر الْمُتَمَكِّنَةِ ، مِثْل : مَنْ ، وكَمْ ، إِذَا تحرَّك مَا قَبْلَهَا، وَمِنَ الْعَرَب مَنْ يَقُولُ أَنا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَيُثْبِتُ الأَلف فِي الْوَصْلِ وَلَا يُنوِّن"[٣] .

(١) المصباح المنير ١/١٥

(٢) الصحاح(أنن) . وقارن بالتاج٣٤/٢٠٨ . والبيت من بحر الوافر ، وينظر في : خزانة الأدب ٥/٢٤٢ . وضرائر الشِّعْر لابن عصفور، ص٥٠ . تحقيق : السيد إبراهيم محمد . دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٠ م .

(٣) اللسان ١٣/٣٧

(بجح)

جاء في الصحاح :"البَجَحُ: الفرحُ . وقد بَجِح بالشيء. وبجح به أيضا لغةٌ ضعيفةٌ فيه"[١].

وفي غريب الحديث لابن سلام:"وفي هذا لُغتان: بجحْت وبجحْت"[٢]. "وفي حديثِ أُمِّ زَرْع «وبَجَّحَني فبَجِحْتُ» أيْ: فرَّحَني ففرِحْت . وقيل عظَّمَني فعَظُمَتْ نفْسي عِندي . يُقَالُ فُلَانٌ يَتَبَجَّحُ بِكَذَا ، أيْ : يتعظَّم وَيَفْتَخِرُ"[٣] . ولم ينصّ الخليلُ على رجحان إحدى اللغتين على الأخرى ، حيث اكتفى بقوله:" وبَجِحْتُ وبَجَحْتُ لغتان"[٤] . وكذلك لم يُشِر الأزهري، قال:"وَقد بَجِح يبجَحُ وبَجَحَ يَبجَحُ "[٥] فلو كانت اللغة ضعيفة لأُشير إلى ضعفها من قبل هؤلاء الأوائل المتقدمين على الجوهري ؛ ومن ثم فاللغتان صحيحتان سائغتان .

(برد)

جاء في الصحاح:"البَرْدُ: نقيض الحَرّ. والبُرودَةُ: نقيض الحرارة . وقد بَرُد الشئ بالضم . وبَرَدْتُهُ أنا فهو مَبْرودٌ. وبَرَّدْتُهُ تَبْريدًا. ولا يقال أَبْرَدْتُهُ إلا في لغة رديئة. قال الشاعر مالك بن الريب:

---

(١) الصحاح (بجح)

(٢) غريب الحديث لابن سلام٢/٣٠١ . تحقيق: د/محمد عبد المعيد خان . مطبعة دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد- الدكن .الطبعة الأولى١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

(٣) النهاية لابن الأثير١/٩٦ . تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٤) العين (بجح)٣/٨٦

(٥) التهذيب(بجح)٤/٩٩

وعطِّلْ قلوصي في الرِّكاب فإنها ستُبْرِدُ أكْباداً وتُبْكي بواكيا[1]

وسقيته شربة بردت فؤاده تبرده بردًا[2]. وفي الجمهرة:"ويُقال: بردت الماء وأبردته وليْسَ أبردته بقوي"[3]. وفيه أيضًا:" وبَردت الشَّيْء أبرده بردا وبردته تبريدًا إذا صيرته بَارِدًا ولا يُقال أبردته...وقد جَاء فِي الشَّعْر أبردته أيْضا وليْس بالمأخوذ بِهِ "[4].

ومن خلال مارجعت إليه من مراجع أرى شبه إطباق على كون (أبرد) لغةً رديئةً إلا ما كان من ابن القطاع ، حيث قال :" و"بَرد" الله الأرض بردا و"أبرَدها" أصابها البرد ، و"برد" الشيءُ برودة وبَرْداً صار باردًا، وعلى فلان كذا :وجب، والحديد بالمِبرَد جردته ، والأسير في يد آسِره :لم يُفد، والمضروب: ماتَ بأثر الضرب، والخبزَ بالماء: بللته ، وحرّ العطش بالماء ، والعين بالكحل : أذهبت حرها، والماء بالثلج مثله و"أبَردته" أيضًا"[5] . فلم ينص على قوةٍ ولا رداءةٍ في كل الاستعمالات الفائتة.

---

(١) "قال مَالكُ بْنُ الرَّيْب. وَكانَت الْمَنيَّةُ قَدْ حَضَرَتْهُ ، فَوَصَّى مَنْ يَمْضِي لأهله وَيُخْبِرُهُمْ بموْتِه، وأنْ تُعَطَّل قَلُوصه فِي الرِّكَاب ، فلا يركبها أحد ؛ ليُعْلم بذَلِك مَوْتُ صَاحِبهَا ، وَذَلِكَ يَسُرُّ أعداءه وَيُحْزِنُ أولياءه ، فقَالَ:

وعَطِّلْ قلوصي فِي الرِّكَاب، فإنها ... ستُبْرِدُ أكبادًا، وتُبْكِي بواكيا"

اللسان (برد) ٨٢/٣ ، وينظر البيت في جمهرة أشعار العرب٦١٤ ، والحماسة البصرية ٢٨٠/١ ، وجمهرة اللغة (برد)٢٩٥/١

(٢) الصحاح (برد) ، وقارن بتاج العروس (برد) ٤١٣/٧

(٣) جمهرة اللغة٦٣/١

(٤) جمهرة اللغة (برد)٢٩٥/١

(٥) الأفعال لابن القطاع٦٩/١

(تا)

جاء في الصحاح :" وتصغير تا: تيا، (بالفتح والتشديد)؛ لأنك قلبت الألفَ ياءً وأدغمتها في ياء التصغير. ولك أن تدخل عليها ها للتنبيه، فتقول: هاتا هِنْدٌ، وهاتانِ، وهؤُلاء، وفي التصغير هاتَيَّا. فإن خاطبت جئت بالكاف فقلتَ: تيكَ وتِلْكَ، وتاكَ وتلْكَ (بفتح التاء) ، وهي لغة رديئة" [1] . وفي المزهر:"وقال ابنُ السكيت في الإصلاح: يقال في الإشارة: تَلك بفتح التاء لغةٌ رديئة"[2].

ولم يشر ابن عصفور إلى ضعف هذه اللغة في معرض حديثه عن زيادة اللام . جاء في الممتع :" أمَّا اللَّام فإنها تُزاد في: "ذلِك" و"تِلك"، بفتح التاء وكسرها "[3] .

(تا)

جاء في الصحاح:"وتدخلهاأيضا (أى اللام) في أمر ما لم يسم فاعله. فتقول من زهي الرجل: لتزه يا رجل، ولتعن بحاجتي. قال الأخفش: إدخال اللام في أمر المخاطب لغة رديئة ؛ لأن هذه اللام إنما تدخل في الموضع الذى لا يقدر فيه على افعل ، تقول: ليقم زيد، لأنك لا تقدر على افعل. وإذا

---

(١) الصحاح(تا) ، وإصلاح المنطق ١/ ٢٦٩

(٢) المزهر ١/ ١٧٩، واللسان١٥/ ٤٤٦

(٣) الممتع الكبير لابن عصفور ١/ ١٤٥ ، مكتبة لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٦

اللَبن وما أشبهه يخثر خثورة وخثارة وقالُوا خثر أيضا "[1]. فخثُر (بالضم) فصيحة.

(خطف)

جاء في الصحاح :"الخطف: الاستلاب. وقد خطفه (بالكسر) يَخْطَفُهُ خطفًا. وهي اللغة الجيدة. وفيه لغة أخرى حكاها الأخفش بالفتح .. وهي قليلة رديئة لا تكاد تُعْرَف. وقد قرأ بها يونس في قوله تعالى: {يخطف أبصارهم} "[2].

وقد نص الأزهري على فصاحة اللغتين ، قال :"خطف الطَّائِر بجناحيه إذا ، خطف يخطف خطفا ، وخطف يخطف ، والمصدر فيهمَا يحتان " [3].

لى اللغتين من دون ترجيح ، قال :"فَالْخَطْفُ الِاسْتِلَابُ. هُ، وَخَطَفْتُهُ أَخْطِفُهُ"[4]. وفى المحكم أيضًا :"خَطِفه، اختطفه، وتخطّفه"[5]. وتأسيسًا على ما تقدم يميل البحث دون (خطَف يخطِف) فصيحة.

الجمهرة (خثر) ١ ٤١٨

(٢) الصحاح (خطف) . والآية رقم٢٠ فى سورة البقرة . "وأكْثر القُرَاء قَرءُوا: (يَخْطَفُ) من (خطِف يخْطَفُ) . وهِي القِراءةُ الجَيِّدةُ، الَّتِي اجتمعَ عَلَيْها أكثرُ القُرَّاء" التهذيب ٧/ ١١٠ . وقد رُوي عن مجاهد والحسن "يَخْطِف" المحتسب لابن جني١/ ٦٢ وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

(٣) الجمهرة (خطف)١ ٦٠٩

(٤) المقاييس ٢/ ١٩٦

(٥) المحكم ٥/ ١١٨

(رحب)

جاء في الصحاح:" رَحُبَتِ الدارُ وأَرْحَبَتْ بمعنىً، أي : اتَّسعَتْ. قال الخليل: قال نصر بن سيار: " أرحبكم الدخول في طاعة الكرماني[1] " أي: أوسعكم. قال: وهي شاذة ، ولم يجئ في الصحيح (فعُل) بضم العين متعديًا غيره"[2] . وفي التهذيب "قَالَ نصر بن سيار: أَرَحُبَكُمَ الدُّخُول فِي طَاعَة الكِرْماني، يَعْني أَوَسِعَكُم. وَقَالَ الليثُ : وَهَذِه كلمة شَاذَّةٌ على (فَعُل) مُجَاوِز ، و(فَعُلَ) لَا يكون مجاوزًا أبدًا . قلت لَا يجوز رحُبَكُم عِنْد النَّحْويين ، وَنصر لَيْسَ بحُجَّة" [3].

"إِلَّا أَن أَبَا عَليّ الْفَارِسِي حكى أَن هذيلًا تعديها إِذا كَانَت قَابِلَة للتعدي بمعناها كَقَوْله :

---

(١) كرمان " ولاية مشهورة ، وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة، بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، فشرقيّها مكران ومفازة ما بين مكران والبحر من وراء البلوص، وغربيّها أرض فارس، وشماليّها مفازة خراسان، وجنوبيّها بحر فارس. ولها في حدّ السيرجان دخلة في حد فارس مثل الكمّ ، وفيما يلي البحر تقويس، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع ، تشبّه بالبصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات " معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/٤٥٤ ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥ م . وفي تاج العروس:" وكرمان"إِقْلِيمٌ بَيْنَ فارسَ وسِجِسْتَان، قَالَ ابنُ خُرْدَاذْبه: هِي مِائَةٌ وثَمانونَ فَرْسَخًا فِي مِثْلِها، افْتَتحها عَبْدُ الرَّحْمن بنُ سَمُرَةَ بن جُنْدب رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنهُ"تاج العروس (كرم) ٣٣/ ٣٤١

(٢) الصحاح(رحب) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت . الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٣) التهذيب (رحب) ١٨/٥.

وأنكرها الأصمعي. جاء في التهذيب :"أبو حاتم عن الأصمعيّ: يُقال: رَعَف يرعَف ويرعُف، ولم يعرف رُعِف ولا رَعُف في فعل الرعاف"[1].

وضعّفها السيوطي في المزهر: "يقال رَعِف الرجل لغة في رَعَف . وهي ضعيفة"[2] . وفي المخصص :"أبو عبيد: رَعَف يَرْعَف رعفًا ورُعَافًا ورعِف ورَعُف ، ورَعَف الدمُ نفسُه يرْعفُ"[3] .

يُفاد مما سبق أن ضَعْف استعمال (رعُف) في الدم نفسه ، أما في حق الراعف فلا حرج من استعمال الضم في الماضي ، وهذا ما يميل إليه البحث، بدليل قول أبي عبيد الذى مر ذكره، وبدليل قول ابن فارس أيضًا:" ومن الْبَاب: رَعَفْتُ وَرَعُفْتُ"[4].

(شرر)

جاء في الصحاح:"الشَرُّ: نقيض الخير. يقال: شررت يارجل وشررت، لغتان، شرًا وشرارًا وشرارة . وفلان شر الناس، ولا يقال أَشَرُّ الناسِ إلا في لغة رديئة ، ومنه قول امرأة من العرب: " أعيذك بالله من نفس حرى، وعين شرى " أي خبيثة، من الشر، أخرجته على فعلى، مثل أصغر وصغرى"[5] .

فإذا كان المؤنث على (فُعلى) فالمذكر على أفعل .

---

(١) التهذيب ٢/٢١١

(٢) المزهر ١/١٧٠

(٣) المخصص ١/٤٨٢ . وقارن بما ورد في المحكم٢/١١٩

(٤) المقاييس (رعف)٢/٤٠٥

(٥) الصحاح (شرر)

ويجوز فى التعجب أيضًا طرحُ الهمزة بجانب إثباتها . قال الأزهري:" كما يقال: هو خيرٌ منك، وهو شرٌّ منك. فالأصل فيه: هو أَخْيرُ منك، وهو أشرُّ منك . فأُسقطت الألف، وأُلقيت فتحة الراء والياء على الشين والخاء . فإذا تعجبوا قالوا: ما أَشَرَّ عبد الله، وما شَرَّ عبد الله، وما أَخْيَرَ عبدَ الله، وما خَيْرَ عبد الله . وأجاز الفراء لِمنْ لَيّن الهمزة أن يقول : ما أخيرَ عبدَ الله، ومخيرَ عبد الله، بترك الهمز"[1] .

(شغب)

جاء في الصحاح :" الشغْب، بالتسكين: تهييج الشر. وهو شَغْبُ الجُنْدِ، ولا يقال شَغَبٌ ...وشغِبت عليهم (بالكسر) أَشْغَبُ شَغَباً: لغةٌ ضعيفة فيه"[2].

وجاء في درة الغواص: "وَيَقُولُون: فِيهِ (شغب) بِفَتْح الْغَيْن، وَهُوَ تهيج الشَّرّ والفتنة وَالْخِصَام، فيوهمون فِيهِ كَمَا وهم بعض الْمُحدثين فِي قَوْله:

ياظَالِمًا يتجنى جِئْت بالعجب . شغبت كَيْمَا تغطي الذَّنب بالشغب

...وَنَظِير هَذَا الْوَهم: قَوْلهم للداء الْمُعْتَرض فِي الْبَطن : المغَص (بِفَتْح الْغَيْن) فيغلطون فِيهِ؛ لِأَن المغَص (بِفَتْح الْغَيْن) هُوَ خِيَار الْإِبِل"[3].

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس للأزهري١/٢٥٣، تحقيق د/ حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة - بيروت . الطبعة الأولى١٩٩٢م .

(٢) الصحاح (شغب)

(٣) درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ١/ ١٢٤ . تحقيق: عرفات مطرجي . مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٨/١٩٩٨هـ . وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف١/٣٣٨ . حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد

(شغل)

جاء في الصحاح :" وقد شَغَلْتُ فلانًا فأنا شاغِلٌ، ولا تقل أَشْغَلْتُهُ؛ لأنَّها لغة رديئة"[١] . وفي إصلاح المنطق :"وقد شَغَلتُهُ ، ولا يقال أَشْغَلْتُهُ" [٢].

ونسبها صاحب تصحيح التصحيف إلى العامة، حيث قال:"العامة تقول: أشْغَلته بكذا ، فهو في شُغْلٍ مُشغِلٍ"[٣] .

وعلى الرغم من ذلك يتردد الفيروزآبادي ، ويورد فيها عدة أحكام ، حيث قال : " واختُلِفَ فِيهَا، فقيلَ: هي (أي أشْغَلَهُ) لُغَةٌ جَيِّدَةٌ، أو قَلِيلَةٌ. أو رَدِيئَةٌ، قالَ ابنُ دُرَيْدٍ: لا يُقالُ: أشْغَلْتُهُ، ومِثْلُهُ فِي شُرُوحِ الفصيحِ، وشَرْحِ الشِّفاء للشِّهاب ، والمُفْرَداتِ للرَّاغِب، والأَبْنِيَةِ لابنِ القَطَّاعِ، ولا يُعْرَفُ لأَحَدٍ القَوْلُ بجَوْدَتِها عَن إمامٍ مِن أئِمَّةِ اللُّغَةِ، وكَتَبَهُ بَعْضُ عُمَّالِ الصَّاحِبِ لهُ فِي رُقْعَةٍ، فَوَقَّعَ عَلَيْهَا: مَنْ يَكْتُب إشْغَالِي، لا يَصْلُح لأَشْغَالِي"[٤]. ولكن رَدَّ عليه الزبيدي قائلًا:"قالَ شيخُنا: فَإِذًا لا مَعْنَى لِتَرَدُّدِ المُصَنِّفِ فِيهَا . قلتُ: ولَعَلَّهُ اسْتَأْنَسَ بقَوْلِ ابنِ فَارِسٍ، حيثُ قالَ فِي المُجْمَلِ: لا يَكادُونَ يَقُولُون: أشْغَلْتُ ، فَهُوَ جائِزٌ" [٥].

---

(١) الصحاح (شغل) ، والجمهرة٢/٨٧٣ ، و المقاييس ١٩٥/٣

(٢) إصلاح المنطق ٦٥/١

(٣) تصحيح التصحيف ١٠٩/١

(٤) تاج العروس ٢٦٥/٢٩

(٥) تاج العروس ٢٦٦/٢٩ ، والمجمل ٥٠٦/١

وفي النهاية :"التَّعْرِيس: نُزول المُسافر آخِرَ اللَّيْلِ نَزْلَةً للنَّوم والاسْتراحَة ، يُقالُ منْهُ : عَرَّسَ يُعرِّسُ تَعْرِيسًا. ويُقالُ فِيه: أَعْرس. والمُعرَّس: موضعُ التَّعْرِيس ، وَبِهِ سُمِّي مُعَرَّس ذِي الحُلَيفةِ ، عَرَّسَ بِهِ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم ، وصَلَّى فيه الصُّبْح ثُمَّ رَحلَ . وَقدْ تَكرَّر فِي الْحَدِيثِ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي طَلْحَة وَأُمِّ سُلَيم «فقالَ لَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: أَعْرَسْتُم اللَّيلَة؟ قَالَ: نَعم" أَعْرَسَ الرجلُ فَهُوَ مُعْرِس إِذَا دَخَل بامْرَأتِهِ عِنْدَ بنائِها . وأرادَ بِهِ هَاهُنَا الوَطْءَ، فسمَّاه إِعْرَاسًا ؛ لِأَنَّهُ مِنْ تَوابِعِ الإِعْرَاس، وَلَا يُقَالُ فِيهِ عَرَّسَ" [1] .

يفاد من النص السابق أنه يقال :أعرس الرجل بأهله ،إذا دخل بها، ولا يقال عرس ، بخلاف نزول القوم ليلًا ، فيقال فيه عرس القوم ،ولا يقال أعرسوا إلا في لغة قليلة على نحو ما تقدم . واستخدام التعريس فى إلمام الرجل بأهله من قول العامة .

جاء فى التاج:"والعامّة تَقول عَرَّس بِهَا"[2] . وفي تصحيح التصحيف : " يقولون: عرّسَ الرجلُ بامرأته، والصواب: أعرس ، فأما عرّسَ فهو النزول آخر الليل" [3] . وفي تحرير ألفاظ التنبيه:" أعرس بامرأته : إذا بنى بها ، وَكَذَلِك إذا وَطئهَا ، وَلَا يُقَال عرس إِلَّا فِي لُغَة قَلِيلَة غَرِيبَة ، وَثَبت فِي صَحِيح الْبُخَارِيّ عَن سهل بن سعد قَالَ: لما عرس أَبُو أسيد..."[4].

---

(١) النهاية (عرس)٣/٢٠٦

(٢) التاج (عرس)١٦/٢٥٠

(٣) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ١/٣٧٨

(٤) تحرير ألفاظ التنبيه ١/٢٥٨ ، تحقيق: عبد الغني الدقر. دار القلم – دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ، ونص الحديث فى البخارى:" لَمَّا عَرَّسَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ دَعَا

وقد أشار إليها ابن السكيت دون نص على ضعفها، قال :"وأغْضى الليل فهو غاضٍ ومُغْضٍ ، إذا أظْلم "[1].

يدعم ذلك ماجاء في التهذيب:" قال ابنُ بُزرج : ليلٌ مُغْضٍ وغاضٍ ومقامٌ فاضٍ ومُفْضٍ" [2]. وهي على غرار (هلك بمعنى أهلك)، جاء في التاج:"وهَلكه يَهْلِكُه هَلْكًا بمعْنى أَهْلكه ، لازمٌ مُتعدٍّ ، قال أبو عُبيدة : أَخْبَرَني رُؤْبَةُ أَنه يُقال: هَلكْتَني بمَعْنى أَهْلكْتني قال : وليستْ بلُغتي، قالَ أبو عُبَيدَةَ: وَهِي لُغةُ تَمِيم ... كَمَا يُقالُ : ليل غاضٍ أَي مُغضٍ ، ويُقال : هالِك المُتعَرِّجينَ ، أَي مَنْ تعَرَّجَ فِيهِ هَلكَ"[3] ؛ ومن ثم يتسنى القولُ بأن هذا الحرف مما جاء على غير قياس ؛ إذ القياس فيه أن يقال :أغضى فهو مغضٍ.

(غلق)

جاء في الصحاح :" أغلَقت الباب فهو مُغْلَقٌ ، والاسم الغَلْقُ ، ومنه قول الشاعر:

وباب إذا ما مالَ للغَلْقِ يَصْرِفُ[4]

ويقال : هذا من غَلَقْتُ الباب غَلْقًا ، وهي لغة رديئة متروكة. قال أبو الأسود الدؤلي:

ولا أقولُ لِقِدْرِ القومِ قد غَلِيَتْ ... ولا أقول لباب الدار مَغْلوقُ

---

(١) إصلاح المنطق١/١٩٨

(٢) التهذيب٨/١٤٧

(٣) التاج ٢٧/٤٠١

(٤) شرح ديوان المتنبي للعكبري٢/١٧٥ . تحقيق: مصطفى السقا – إبراهيم الأبياري – عبد الحفيظ شلبي . دار المعرفة – بيروت .

من معك من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قرحانون فلا تدخلها " فهى لغة متروكة"[1] .

بينما نص الخليل على أن جمع قُرحان : قرحانون. جاء فى العين:" ويقال للرجل والمرأة: قُرحان إذا لم يُصبْهما الجُدريُّ ونحوه، والجميع قُرْحانُون"[2].

وكذا ابن فارس على أن جمع قرحان(قرحانون) جاء في المقاييس :" وَمِنَ الْباب: رجُلٌ قُرْحَانٌ وقوْمٌ قُرْحانُونَ، إذَا لَمْ يُصِبْهُمْ جُدرِيٌّ وَلَا مَرَضٌ. وهَذَا مِن الْماء الْقَراحِ والْأَرْضِ الْقَراحِ"[3] . ومن ثمَّ فلا ضير من استخدام (قُرحان وقُرحانون) فى الجمع .

---

(١) الصحاح (قرح) . وقارن بالقاموس المحيط (قرح)١/٢٣٥ ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت – لبنان . الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م . والحديث وارد فى النهاية ، ونصه:" لَما أَرَادَ (أى عمررضى الله تعالى عنه) دُخول الشَّام وَقَدْ وقع به الطَّاعُونُ قِيلَ لَهُ: إنَّ مَنْ مَعَكَ مِنْ أَصْحَاب مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) قُرْحان. وَفِي رواية (قُرْحانون) . القُرْحان بالضَّمِّ: هُو الَّذي لَمْ يَمسَّه القَرْح . وهُو الجُدَرِيّ. ويقع على الْواحد والاثْنيْن وَالْجَمْع وَالْمُؤَنَّث. وبَعْضُهُمْ يُثني ويَجْمع ويُؤنث. وبعيرٌ قُرْحان: إذَا لَمْ يُصِبْه الجرَب قطّ . وَأَمَّا قُرْحانُون . بالْجَمْع . فَقَالَ الجوهري: «هِيَ لُغَةٌ مَتْرُوكَةٌ» فَشَبهوا السَّليم مِنَ الطَّاعُونِ والقَرْح بالقُرْحان، وَالْمُرادُ أَنَّهُمْ لَمْ يكُنْ أصابهُمْ قَبْل ذلك داءٌ" النهاية لابن الأثير ٤/ ٣٥

(٢) العين (قرح)٣/ ٤٣ . وقارن بالنهاية لابن الأثير ٤/ ٣٥

(٣) المقاييس لابن فارس ٥/ ٨٣ ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

وذكر الفراء فيها ثلاث لغات . جاء فى التهذيب :" قال ابْن السَكِّيت: قال الفراءُ : ما رأيته قطَّ يا هذا. وما رأيتُه قُطُّ يا هذا. وما رأيتُه قُـط مرفوعـةً خفيفةً . إذا كان بمعْنى الدَهْر ففِيها ثلاثُ لُغات"[1] .

(قلت)

جاء في الصحاح :"قلْتُهُ البيْعَ . وهي لغةٌ قليلةٌ . واسْـتَقَلْتُهُ البيـعَ فأَقـالَني إيَّاهُ "[2] . وفي ديوان الأدب :" يُقال: قِلْتُه البيعَ : لُغَةٌ قليلـة في أَقَلْتـه"[3]. كما قال ابن القطاع:"قلتُه" البيع لغُيَّة"[4].

فلعل التصغير هنا يُستشف منه الدلالة على قلّة هذه اللغة وضـعفِها . إلا أن هذه اللغة القليلةَ كانت سببًا في معرفة أصل الكلمة . وأن عينها يـاء ، بخلاف ما ذهب إليه بعضهم مـن كونهـا واوًا ، جـاء في كتـاب أنـيس الفقهاء:"الإقالة في اللغة: رفع وإسقاط . وفي الشرع: عبارة عن رفع العقد. وقيل: إنه مشتق من القول وهمزته للسلب أي: أزال القول السابق كمـا في قسط وأقسط ، أي : أزال الجور، وهي غلط ؛ لأنهم قـالوا: قلتـه البيـع وأقلته. وقال الجوهري رحمه الله تعالى: وأقلته البيع إقالة وهو فسخه ، وربما قالوا قلته وهو لغة قليلة، فدل قلته البيع على أن العين ياء . والوجه الثـاني

(١) التهذيب (قط) ٨ / ٢١٦

(٢) الصحاح (قلت)

(٣) ديوان الأدب للفارابي ٣ ٤٠٩

(٤) الأفعال لابن القطاع ٣/٥٩

وإلى هذا ذهب ابن السكيت، حيث قال :"وتقول: هي الكَثْـرةُ ولا تقـل: الكِثْرةُ" [1] ، وحكى غيرُ ابـنِ الـسكيت الكِثـرة ، بالكـسر. جـاء فى المخصص:"والكَثْرة والكِثْرة. ابْن السّكيت: هي الكَثْرة ولَا تقـل الكِثْـرَة وحكاها غيره"[2] .

(لغب)

جاء في الصحاح :"اللُّغوبُ: التعب والإعياء . تقول منـه: لَغَـبَ يَلْغُـبُ (بالضم) لُغوبًا. ولغِب (بالكسر) يلغَب لغوبًا لغةٌ ضـعيفة فيهـا " [3] . وفي العين:"لَغَبَ يلغُبُ لُغُوبًـا، ولَغِـبَ، وهـو شِـدَّة الإعيـاء" [4].وجـاء في الجمهرة:" اللغب: التَّعَب والإعياء ، يُقَال: لغب يلغب لغبا ولغب لغوبًـا وَهِي أفْصح اللغتين"[5] .

ولا أعلم – فيما رجعتُ إليه– أحدًا من المتقدمين عَلَى الجوهري أشـار إلى ضعف (لغِب) بالكسر ، إلا ما كان من ابن دريد الذى نصَّ على أن الفـتحَ

---

(١) إصلاح المنطق ١/ ١٢٥

(٢) المخصص ٤/ ٤٤

(٣) الصحاح (لغب) ، وقارن باللسان ١/ ٧٤٢

(٤) العين (لغب) ٤/ ٤٢١

(٥) الجمهرة (لغب) ١/ ٣٧٠ ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايـين – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، وقارن بالمخصص ١/ ٣١٣ ، تحقيق: خليل إبـراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعـة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ، وإكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك الطائي ٢ /٥٦٥ . تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي ، جامعة أم القـرى – مكـة المكرمـة – المملكـة الـسعودية ، الطبعـة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

(محا)

جاء في الصحاح:" محا لوحه يمْحوهُ مَحْوًا. ويَمْحيهِ مَحْيًا، ويَمْحاهُ أيضًا. فهو ممحي وممحو، صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها، فأدغمت في الياء التي هي لام الفعل... وامَّحى انفعل منه ، وامْتَحى لغةٌ فيه ضعيفة"(١).

ونسبه الصفدي إلى العامة ، قال :"وتقول العامة: امْتَحى. والصواب: امَّحى. قلت : يريد أنهم يزيدون بعد الميم تاء، والصواب تشديد الميم" (٢).

ونصَّ صاحب العين على رداءتها قائلًا:" المَحْوُ لكلّ شيءٍ يذهب أثره، تقول : أنا أمحوه وأمحاه . وطيّئ تقول: مَحَيْته محيًا ومحوًا ، وامحى الشيء يَمَّحِي امّحاءً . وكذلك امتحى : إذا ذهب أثره. الأجودُ امَّحَى، والأصل فيه: انْمَحَى. وأمّا امتحَى فلغةٌ رَدِيئةٌ" (٣).

وفي التهذيب:"وَكَذَلِكَ امْتَحَى إذا ذهب أَثَره، الأجود امَّحَى، وَالْأَصْل فِيهِ انْمحى. وأمَّا امْتَحى فَلُغَةٌ رَديئة " (٤).

ولم يشرابن فارس إلى رداءة (امتحى) ، جاء في المقاييس :"وَامَّحَى الشَّيْءُ: ذهَبَ أَثَرُهُ، كَذَلِكَ امْتَحَى"(٥) . وفي المخصص:"مَحَا الشَّيْء يَمحْاه مَحْيًا فامَّحى وامْتَحى: ذهب أَثَرُه ، وَكره أَبُو حَاتِم امْتَحى" (٦).

---

(١) الصحاح (محا)

(٢) تصحيح التصحيف ١٢٨/١

(٣) العين ٣١٤/٣

(٤) التهذيب١٧٩/٥

(٥) المقاييس ٣٠٢/٥

(٦) المخصص ٣٠١/٣ ، والمحكم٤٥٤/٣

(وحل)

جاء في الصحاح:"الوَحْلُ بالتسكين لغةٌ رديئة . واسْتَوْحَلَ المكانُ. ووَحِلَ الرجلُ بالكسر: وقع في الوَحَلِ. وأوْحَلَهُ غيره . وواحله فوحله، أي غلبه فيه"[1] .

وفي العين :"الوَحَلُ: طينٌ يرتَطِم فيه الدّوابّ ، وَحِلَ فيه يَوْحَلُ وَحَلًا فهو وَحِلٌ إذا وقع في الوحل"[2]. ونصَّ الفارابي على أنها أردأ اللغتين ، قال :"الوَحْلُ : لغةٌ في الوَحَل ، وهي أردأُ اللغَتْين" [3] ، ولا أعلم أحدًا – فيما رجعت إليه من معاجم اللغة – أشار إلى فصاحة هذه اللغة.

(وخى)

جاء في الصحاح :"وواخاهُ: لغةٌ ضعيفةٌ في آخاهُ، تبنى على يُواخي. وتَوَخَّيْتُ مرضاتَك، أي تحرَّيتُ وقصدتُ"[4] . وفي ديوان الأدب:" واخاهُ: لُغَةٌ في آخاهُ، وهي ضَعيفَةٌ ، تبنى على يُواخي"[5] .

وفي المحكم :"وآخى الرجل مؤاخاة، وإخاء، ووخاء، وواخاه، لُغَة ضَعِيفَة، وَقيل: هِيَ بدل ، وَأرى " الوخاء " عَلَيْهَا . وَالِاسْم: الأُخُوَّةُ" [6].

---

(١) الصحاح (وحل) .

(٢) العين (وحل) ٣٠١/٣ ، والمحكم١٢/٤، والمزهر ١/ ١٧٨

(٣) ديوان الأدب ٢٠٨/٣، والمزهر ١/ ١٧٨

(٤) الصحاح (وخى)

(٥) ديوان الأدب ٢٧٩/٣

(٦) المحكم ٣١٤/٥

ووجه الشذوذ زيادة الكلمة على ثلاثة أحرف. إلا أن إلحاق تاء التأنيث بها له مسوغٌ عقليٌ ؛ إذ الظروف كلها مذكرة . فلو عُرِّيت (أمام) وأخواتها من التاء عند التصغير لتُوُهِّم أنها مذكرة كسائر الظروف.

جاء في شرح التصريح: "و شذ اجتلابها ، أي (التاء) في تصغير وراء، وأمام، وقدام، مع زيادتهن على الثلاثة، فقالوا: وريئة، بضم الواو، وفتح الراء بعدها ياء تحتانية مكسورة مشددة ، فهمزة مفتوحة، فالياء الأولى ياء التصغير، والثانية المبدلة من المدة التي قبل الهمزة، وأميمة، بضم الهمزة وفتح الميم وبياء مشددة مكسورة فميم مفتوحة . فالياء الأول ياء التصغير، والثانية بدل من ألف أمام... ووجه إلحاق التاء بها أن جميع الظروف غير هذه مذكرة ، فلو لم يظهروا التاء فيها لظن أنها مذكرة ؛ إذ لا يعلم تأنيثها بالإخبار عنها ؛ لأنها ملازمة للظرفية، ولا بوصفها، ولا بإعادة الضمير عليها، بل بالتصغير فقط . وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: وندر ... إلحاق تا فيما ثلاثيًا كثر"[1].

واختلف في همزة (وراء) بين كونها أصلية أو منقلبة عن ياء ، جاء في اللسان:" وَتَصْغِيرُهَا عِنْدَ سِيبَوَيْهِ: وُرَيِّئَةٌ ، وَالْهَمْزَةُ عِنْدَهُ أَصلية غَيْرُ مُنْقَلِبَةٍ عَنْ يَاءٍ . قَالَ ابْنُ بَرِّي: وَقَدْ ذَكَرَهَا الْجَوْهَرِيُّ فِي الْمُعْتَلِّ، وَجَعَلَ هَمْزَتَهَا

(١) شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري ٥٨١/٢ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان . الطبعة الأولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م . ولكن إن ذكرت جاز لك ذلك. جاء في المحكم:"تصغير وراء وُرَيْئَةٌ قال اللِّحْيانيُّ وراءَ مؤنثةٌ وإن ذكرت جاز " المحكم ٣٥٠/١٠

(وشك)

جاء في الصحاح:"ومنه قولهم: يوشكُ أن يكون كذا...والعامة تقول: يوشك بفتح الشين، وهي لغة رديئة "[1]. وفي إصلاح المنطق:"وتقول: يُوشِك أن يكون كذا وكذا، ولا تقل يُوشَك"[2]. وهو في معنى الإسراع ؛ ومن ثَمَّ جاء اللحن، جاء في العين :"وتقول: يُوشِكُ أن يكون، ومن قال: يُوشكُ فقد أخطأ؛ لأن معناه: يسرع"[3]. وفي درة الغواص توضيح أكبر لوجوب الكسر في شين (يوشِك) قال الحريري:" يَقُولُونَ: يُوشك أَن يفعل كَذَا بِفَتْح الشين، وَالصَّوَاب فِيهِ كسرها؛ لِأَن الْمَاضِي مِنْهُ أوشك. فكانَ مضارعه يُوشك، كما يُقَال: أودع يودع وَأورد يُورد، ومعنى يُوشك: يسْرع؛ لاشتقاقه من الوشيك، وَهُوَ السَّرِيع إِلى الشَّيْء "[4].

(وقف)

جاء في الصحاح :"الوَقْفُ: سِوارٌ من عاج ، يقال وَقَّفْتُ المرأة تَوْقِيفًا، إذا جعلت في يديها الوَقْفَ ... ويقال وَقَفتِ الدابةُ تَقِفُ وُقوفًا، وَوَقَفْتُها أنا وَقفًا، يتعدَّى ولا يتعدَّى. ووَقَفْتُهُ على ذنْبه، أي أطلعته عليه. ووَقَفْتُ الدار للمساكين وَقْفًا، وأَوْقَفْتُها بالألف لغةٌ رديئة . وليس في الكلام أوقفت إلا

(١) الصحاح (وشك) . والتاج ٣٩١/٢٧

(٢) إصلاح المنطق ٢١٩/١

(٣) العين ٣٩٠/٥

(٤) درة الغواص ١٠٧/١ . وقارن بتصحيح التصحيف وتحرير التحريف ٥٦٨/١

السوار من ذهب قيل له سوار، وإذا كان من فضة فهو قُلْب ، وإذا كان من ذَبْل أو عاج فهو وقف"[1].

فضلًا عما ورد في المحكم :"قَالَ أَبُو عَمْرو بن الْعَلَاء: إِلَّا أَنِّي لَو مَرَرْت بِرَجُل وَاقِف فَقلت لَهُ: مَا أوقفك هَاهُنَا؟ لرأيته حسنًا . وَقيل:" وقف " و" أوقف " سَوَاء"[2]. وفي مشارق الأنوار:" جاء فِي ترْجمة البُخَارِيّ إِذا أوقف الرجل كَذَا وَالصَّوَاب وقف ثلاثي ، لَكِن قيل: أوقف فِي لُغَة قليلة ردية عِنْدهم ، وَحكى صَاحب الْأَفْعَال أوقفت الدَّار "[3].

(١) المزهر ٢/٩٦

(٢) المحكم ٦/٥٧٨ ، وقارن بالتاج ٢٤/٤٦٨

(٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار لأبي الفضل السبتي ٢/٢٩٣ ، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث .

ويرى البحث أن الفصاحة بنيان متكامل ، قد يتهاوى إذا فقد ركنًا من أركانه ، أو دعامة من دعائمه . فلابد إلى جانب الوضوح من حسن اللفظ ، وجمال الجرس الذي تستلذ به الآذان ، فضلًا عن سهولة اللفظ وذلاقته وعدم المجافاة بين أصواته ، مما يجعله يجري على اللسان في يسر وسهولة ، ثم يُتَوَّج هذا الأمرُ كلُّه بالنأي عن البذاءة ، والنبوَ عن الابتذال .

– إن تحييز الفصاحة في قبائلَ بعينها أمرٌ يرفضه العقل والواقع ؛ فمن المعلوم أن كل إنسان مفتون بلهجته التي شب عليها ؛ ومن ثم سميت اللهجة بذلك ؛ لأن صاحبها يلهج بها كما يلهج الفصيل بأمه ، فهو في لغته فصيح لَسِن ، يصل إلى مأربه من الفهم والإفهام بشكل دقيق . بل إنه ينظر إلى ما سواها على أنها أدنى مرتبةً ، وأقلُ شأنًا ، وإن بلغت في الفصاحة مبلغًا عظيمًا.

– للفصاحة معاييرُ نسبيةٌ ، إلا أن أعلى درجات الفصاحة –على ما يرى ابْن جني– أن يقوى الشيء في القياس ، ويشيع في الاستعمال ، فتلك مثابة لا تدانيها مثابة . وأما إذا ضعف الشيء في القياس وندر في الاستعمال فهو بأقبح المنازل ، وهو مرذول مطَّرَح .

ومن ثم فالأمر الأهم كثرةُ الاستعمال ؛ لأنها برهان على فصاحة الكلمة ، وسهولتِها على الألسنة ، واستساغةِ الآذانِ لها ، ودلالتها على المراد بوضوح ؛ ولو لم تكن الكلمة بهذه المثابة لأتى القوم بخير منها، واللغةُ معينةٌ على ذلك ؛ إذ من المعلوم أن العربية في صدارة اللغات الاشتقاقية ، فلن يعجزها كثرةُ المفردات .

- تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية .
- تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
- تحرير ألفاظ التنبيه : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم – دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٨
- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) ، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي ، راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
- تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .
- جمهرة أشعار العرب : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ) ، حققه وضبطه وزاد في شرحه : علي محمد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) ،تحقيق: خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) ، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ .
- سير أعلام النبلاء : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، دار الحديث- القاهرة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو : خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى : ٩٠٥هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .
- شرح ديوان المتنبي : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ) تحقيق: مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة - بيروت .

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : محمود السعران ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٩٧ .
- العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) ، المحقق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
- غريب الحديث لابن سلام: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) تحقيق: د/محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد- الدكن، الطبعة الأولى١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- غريب الحديث للحربي ، المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق ، تحقيق: د/ سليمان إبراهيم محمد العايد ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥.
- الفائق في غريب الحديث والأثر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – لبنان ، الطبعة الثانية .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة – بيروت١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب ، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

- يتمة الدهر في محاسن أهل العصر : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) ، تحقيق : د/ مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .